

عصمة الأنبياء في القرآن الكريم

(211) بقوله: (وَلَا تُجَادِلْ عَنْ الْذَّيْنِ يَخْتَنُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا) (1) . فالآية تكلف النبي أن لا يدافع عن الخائن، ومن الواضح أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن في زمن حياته مدافعاً عن الخائن، وإنّما هو خطاب عام أُريد منه تربية المجتمع وتوجيهه إلى هذه الوظيفة الخطيرة، وبما أن أكثر الناس لا يتحملون الخطاب الحاد، بل يكون مرّاً في أذواق أكثرهم، اقتضت الحكمة أن يكون المخاطب، غير من قصد له الخطاب. 7. وعلى ذلك يحمل قوله سبحانه: (إِنَّ زَلْزَلَنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ) (2) وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا) (3) وأخيراً نقول: إن سورة الإسراء تحتوي على دساتير رفيعة المستوى، ترجع إلى وظائف الامة: الفردية والاجتماعية، وهو سبحانه يبتدىء الدساتير بقوله: (لَا تَجْعَلْ مَعَ إِلَهِهَا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُومًا) (3)، وفي الوقت نفسه يختمها بنفس تلك الآية باختلاف يسير فيقول: (وَلَا تَجْعَلْ مَعَ إِلَهِهَا آخَرَ فَتُلَاقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَذْمُورًا) . (4) فهذه الخطابات وأشباهها وإن كانت موجهة إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لكن قصد بها عامة الناس لنكتة سبق ذكرها، وإلا فالنبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) أعظم من أن يشرك بالله تعالى بعد تشرّفه بالنبوة، كيف، وهو الذي كافح الوثنية منذ نعومة أظفاره إلى أن بعث نبياً لهدم الشرك وعبادة غير الله تبارك وتعالى. _____ 1 . النساء: 107، 2 . النساء: 105، 3 . الإسراء: 22، 4 . الإسراء: 39.